

مِنَّا الطَّالِبُ

فِي شَرْحِ طَوَالِ الْغُرَائِبِ

لِمَجْدِ الدِّينِ أَبِي السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ

ابْنِ الْأَثِيرِ

٥٤٤ - ٦٠٦ هـ

الجزء الأول

تحقيق

الدكتور محمود مجيد الطناحي

الناشر مكتبة النخاسي بالقاهرة

مَنَّاكَ الطَّالِبُ
فِي شَرْحِ طَوَالِ الْغَرَائِبِ

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويري

مكتبة الحانجي

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٧ = ١٩٩٧ م

رقم الإيداع ٢٥٥٢ / ٨٣

ترقيم دولي ٧ - ٠٠٥ - ٥٠٥ - ٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك . سبحانه خلق كلَّ شئ فقدره تقديرا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فكان شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل ، وسائر إخوانه المصطفين الأخيار ، وآله الأبرار ، وصحابته الأطهار ، ثم على من دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وارض اللهم عن أئمتنا وعلمائنا ، وارحم آباءنا وأمهاتنا ومشايخنا وكل من له حق علينا .

وأوزعنا اللهم شكر نعمتك ، وأعنا على ذك الحق ، وسهل لنا طريقه والعمل به ، وزدنا حُباً فى العريّة ، وثبتنا عليها .

وارزقنا حسن التوكل عليك ، وتفويض الأمور إليك ، وزهّدنا فيما فى يد عبادك ، وهوّن علينا مكرهم ، ورُدّ عنا بأسهم ، لا منصور إلا من نصرته ، ولا مخذول إلا من خذلته ، أنت النافع الضار ، المعزّ المذلّ ، سبحانه وأنت على كل شئ قدير .

ثم أمّا بعد :

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب « منال الطالب فى شرح طوالب الغرائب » الذى صنّفه الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ، المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ست وستمئة .

و كنت قد نشرته عن أصل نفيس ، كتبه محمد ابن أخى المصنّف ضياء الدين نصر الله ، صاحب كتاب « المثل السائر » ، وبعد أن فرغ من نسخه قرأه وسمعه على عمّه مجيد الدين المصنّف ، وقد حضر هذا السماع وكتبه الأخ الثالث عز الدين على ، صاحب « الكامل » و « الباب » ، وهذا توثيق عالٍ للنسخة ، فضلاً عما فيه من كشفٍ للصّلات العلمية داخل الأسرة الواحدة.

وهذا الأصل النفيس احتفظت به مكاتب المغرب الأقصى ، وأدّته إلينا سالماً كاملاً وضيقاً ، كأنه خرج من يد كاتبه لتوّته ولحظته ، و كنت قد صوّرته بنفسى عام ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م ، فى أثناء زيارتى للمغرب ، عضواً فى بعثة معهد المخطوطات العربية . وكم للمغرب من أياذٍ على التراث ومخطوطاته (١) .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م وكان الذى تولّى نشرها - مشكوراً مأجوراً - مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، بجامعة أمّ القرى ، بمكة المكرمة .

فهذه اثنا عشر عاماً مضت على تلك الطبعة التى لم يُتَخ لها أن تَذِيع وتنتشر ، وهذا هو الشأن فى كثير من تلك المطبوعات التى تصدر عن الهيئات العلمية التى لا تطرح مطبوعاتها للبيع ، وإنما تقصرها على الإهداء . وهذا الإهداء دائرته محدودة جداً ؛ لأنه إما أن يوجّه لبعض الأفراد ؛ لعلاقات خاصّة ، وإما أن يوجّه لهيئات أخرى لا تتيحها لكل القراء . على أن فى هذا الإهداء بعض الآفات ، وهو أنه يوجّه أحياناً لمن لا يعرف قدره ، أو لا يدرك وجه النفع منه ، وأعرف بعض من تُهدى إليهم الكتب فى المؤتمرات

(١) انظر كتابى : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى ، ص ١٨٦ - مكتبة الخانجي -

والندوات كانوا يتركونها فى الفندق ؛ استثنائاً لحملها ، أو فراراً من مؤونة الوزن الزائد فى شركات الطيران ^(١) .

على أن هذه الاثنى عشر عاماً قد أتاحت لى أن أكثر النظر فى الكتاب ، وأصدر هذه الطبعة الثانية منه ، أصليح فيها ما أثأث يدُ العَفَلات : من ضبط خاطئ ، أو تصحيح خطأ طباعى ، أو زيادة فى التوثيق والتخريج لنصوص الكتاب ، مما لم يكن مطبوعاً فى ذلك الوقت ، أو مما غفلت عنه العين ، أو ذهل عنه الخاطر فى الطبعة الأولى .

وكلّ الذي أرجوه أن تخرج هذه الطبعة الثانية قبل أن تمتدّ إلى الطبعة الأولى يدُ شَرّاق الكتب ولصوصها الذين كثروا فى ذلك الزمان ، يأكلون جهود الناس ، ويغتالون تاريخهم اغتيالاً ، بتلك الطبعات المصوّرة المزوّرة .

* * *

وتبقى كلمة :

لقد قلت : إن الطبعة الأولى من ذلك الكتاب قد صدرت عن مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، زادها الله تشريقاً وتكريماً ومهابة ، وتلك أيام عزيزة ، أذكرها فنفيس النفس سعادةً وتحنّاناً ، ففى عام ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م تلقيت دعوة علميّة كريمة من كلية الشريعة بمكة المكرمة ، للمشاركة فى إرساء قواعد مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى الذى قام فى تلك الأيام ملحّقاً بكلية الشريعة . وقد أنزلنى القوم آنذاك مُنْزَلاً كريماً ^(٢) .

(١) أخبرنى بعض إخوانى المشرفين على بعض المؤتمرات فى بلد عربى كبير ، أنه كان يذهب عقب انقضاء المؤتمر ، ومعه عدّة عربات لنقل الكتب من الفندق ، والعودة بها إلى مخازنها ، من حيث أتت .

(٢) حيث غُومِلْتُ وظيفيّاً تحت بندٍ هناك يسمّى « كفاءة نادرة » يُعامل به الإنسان الذى أكرمه الله بشئ من العلم معاملةً « العالم » لا معاملة « حامل الشهادة العليا » . وفى =

ولم يكن فى تقديرى البقاء بتلك الديار المباركة أكثر من عامين أو ثلاثة،
لأعود إلى عملى بمعهد إحياء المخطوطات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم - ومعهد المخطوطات هويتى وشبابى وأحلامى - ولكن شاء ربك
أن تمتد الإقامة أحد عشر عامًا ، فكنت كما قال أحمد بن الحسين بن
حيّدره ، الشاعر المعروف بابن خراسان (٤٩٧ هـ) :

نزلنا على أن المقام ثلاثة

فطابث لنا حتى أقمنا بها عَشْرًا

* * *

وكان مما قدّر الله وقضى أن أترك مركز البحث العلمى ؛ للتدريس بقسم
الدراسات العليا العربية ، والإشراف على بعض الرسائل الجامعية العليا .

= ظلّ هذا البند كان يعامل الأساتذة : محمد متولى الشعراوى ، ومحمد الغزالى ، والسيد
أحمد صقر ، والسيد سابق ، ومحمد قطب ، وطائفة من كبار مشايخ الأزهر ، من طبقة
الفقهاء الحفظة ، منهم : محمد الصادق عرجون . ومحمد أبو شهبه ، وعثمان مريزق ،
وسيد العقبى ، ومحمد شعبان حسين ، وأحمد أبو سنة ، وعلى القمّارى . ثم الشيخ المعمر
الفقيه ، شيخ الشافعية فى وقته ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، الشيخ محمود عبد الدائم .

وفى رحاب هذه الكوكبة النادرة من العلماء الأعلام ، التى قلّ أن تجتمع فى مكان ،
تخرّجت طائفة من الشباب السعوديين النابهين ، مؤسسين تأسيسًا علميًا صحيحًا .

ومن أمانة التاريخ ، ومعرفة أقدار الناس أذكر هنا أصحاب الفضل فى إرساء هذه المبادئ
العلمية الرفيعة : الشريف راشد الراجح ، ومحمد بن سعد الرشيد ، وناصر بن سعد الرشيد ،
وعليّان بن محمد الحازمى ، وعبد الله بن سليمان الجربوع ، وحسين حامد حشّان ، وحسن
محمد باجودة . فهؤلاء هم الذين سَعَوْا إلى العلماء فى بيوتهم ، وأحلّوهم دار الكرامة ، ولم
يتغيّروا عليهم بطول المكث والإقامة .

وكانت أياً ما زاكية مباركة ، قرأت فيها مع إخواني الشباب ^(١) هناك شيئاً من علوم العربية ، وقد أعطيتهم وأعطوني ، أعطيتهم خبرة الأيام ، وثمار مجالسة أهل العلم ومشافهتهم والرواية عنهم ، وأعطوني حماسة الشباب وتوقده ، بل إنهم فتحوا لي أبواباً من النظر ، ودلوني على فوائد في الكتب ، لم أكن أقف عليها لولا نظرهم ومفاتشتهم ، ولا زلت أقول : إننا حين نعلم ونُخرج أبناء الطلبة إنما نقرأ معهم العلم مرة أخرى ، بل ربما استفدنا منهم مثل الذي استفادوه منا ، ولأمر ما كان التلميذ قديماً يسمى « صاحباً » لشيخه : فأبو يوسف ومحمد صاحباً أبي حنيفة ، والربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي ، وابن جني صاحب أبي علي الفارسي ... وهلمَّ جراً . وهكذا مضت أيامي مع هؤلاء الأحاب ، فقضيت معهم وبهم أحلى الأوقات ، وسعدت بأكرم جوار ، ونعمت بأرحب دار ، ولولا أكبادنا التي تمشي على الأرض ، لما كان لي عن هذه الديار مذهب ولا مُتحوّل ، ولا زلت مع تطاول الأيام وكُرُور الليالي أجِدُ لَذَع تلك الدفعة السخينة التي تحدّرت من عيني ساعة غادرت مكة ، وأنا أنشد قول الشريف الرضي :

وتلفَّت عيني فمذْ خَفِيت عني الطُّلولُ تَلَفَّت القلبُ

وما بَرَح القلبُ يتلفَّت ، وما زالت العين تشتاق حتى يأذن الله بلقاء .

(١) أذكر منهم : عياد بن عيد الثبتي ، وسليمان بن إبراهيم العايد ، ومحمد بن حمود الدعجاني ، وعثمان بن حسين الصيني ، وحماد بن محمد الثمالي ، وصالح الغامدي ، إلى شباب آخرين ، لم أشرف عليهم ، ولكنني سعدت بمذاكرتهم ومجالستهم ، ومناقشة بعضهم في رسائلهم الجامعية ، منهم : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، وسعد بن حمدان الغامدي ، وحمد الزايد ، وعبد الله القرني ، ومحمد العمري ، ومحسن العميري ، والشريف عبد الله الحسيني البركاتي - شفاه الله - ومحمد بن مريسي الحارثي وعبد الله العبادي ، سقى الله أيامهم جميعاً بالخير .

اللهم اجزِ إخواننا هؤلاء خيرَ الجزاء ، واربطْ على قلوبهم ، واجعلهم
موصولين بالعلم ، بارِّين به ، حافظين لأمانته .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ وَثُبِّ
عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتب

أبو محمد

محمود محمد الطناحي

غُرَّة رمضان المعظم ١٤١٧ هـ

التاسع من يناير ١٩٩٧ م

٦ شارع بشار بن برد

المنطقة السادسة - مدينة نصر

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة ، أحمده سبحانه وتعالى حمداً كثيراً طاهراً طيباً مباركاً فيه ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الناطق بأفصح لسان والمبعوث رحمة للعالمين . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين .

أما بعد : فهذا كتاب جديد من كتب غريب الحديث ، هذا العلم الذى انتدب العلماء للتصنيف فيه منذ القرن الثانى ، وقد اختلفت مصنفاتهم فيه سرعةً ومنهاجا ، فعمد بعضهم إلى شرح ما فى حديث رسول الله ﷺ من الغريب جُملةً ، ثم قفى بشرح غريب أحاديث الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين . ومن ذلك كتب أبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤) وأبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) وأبى سليمان حمّد بن محمد الخطّابى البُستى المتوفى سنة (٣٨٨) . وهذه الكتب الثلاثة عمدة هذا الفن ، وقد دارت دورانا عظيماً فى كتب المتأخرين .

وفريق ثانٍ انتزع الأحاديث المشتملة على الغريب ، ونسّقها على حروف المعجم ثم شرحها وفقّ الحروف الهجائية ، وهذه الطريقة أقرب تناولاً وأيسر سبيلاً ، ثم هى أجدى نفعاً فى الدراسات اللغوية ، حيث تفيد فى تتبع اللفظ ومعرفة دورانه وتطوره الدّلالى . ومن هذه الكتب :

الغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة (٤٠١) ، والفائق لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ^(١) المتوفى سنة (٥٣٨) ، والنهاية لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ، ابن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦) ، وقد رُزق هذا الكتاب الحظوة والقبول ، لسهولة مأخذه وقرب تناوله ، وقد اقتضته هذه السهولة أن يذكر بعض كلمات الحديث على ظاهر لفظها ، دون أن يجردّها من الزوائد .

وطائفة ثالثة جرّدت أحاديث بعينها ، وأفردتها بالشرح ^(٢) . من ذلك صنيع أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨) حين شرح حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، في صفة أبيها أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ^(٣) .

(١) في طريقة الزمخشري بعض العُسر ، وفي العثور على الحديث منه كلفة ومشقة ، فإنه وإن رُتب الأحاديث على حروف المعجم ، إلا أنه يشرح مافي من الغريب جملة واحدة ، فتأق الكلمة في غير حرفها ، وإذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها ، كما ذكر ابن الأثير في مقدمة النهاية ، وقد أحسن محققا الكتاب حين صنعا له فهارس لألفاظ اللغة على حروف الهجاء ، وإن فاتتهما بعض الكلمات ، والكمال لله وحده .

(٢) انظر كشف الظنون ص ١٠٣٦ - ١٠٣٩ .

(٣) نشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، بالمجلد السابع والثلاثين . وأبو بكر بن الأنباري من شراح غريب الحديث . وقيل : إن مصنّفه في غريب الحديث خمسة وأربعون ألف ورقة [راجع مقدمتي لتحقيق النهاية ص ٥] ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي في مقدمته الجامعة لكتابه غريب الحديث . قال رحمه الله : « ولابن الأنباري من وراء هذا مذهب حسن في تخرج الحديث وتفسيره ، وقد تكلم على أحاديث معدودة وقع إليّ بعضها ، وعامتها مفسرة قبل ، إلا أنه قد زاد عليها وأفاد ، وله استدراقات على ابن قتيبة في مواضع من الحديث » .

ومنه أيضاً كتاب « بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » (١) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة (٥٤٤) .

ويمثل كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » الذي نُقِّدَ له ، منهجاً رابعاً من مناهج التصنيف في غريب الحديث ، وهو جَمْع وشرح الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين . وهذا الكتاب لا أعلم له سَمِيّاً في كتب المتقدمين والمتأخرين ، والكلام على ذلك آتٍ إن شاء الله ، بعد أن أحدثك عن معنى الغريب ، وترجمة المؤلف رحمه الله .

معنى الغريب :

أورد الإمام أبو سليمان الخطّابي ، في مقدمة كتابه « غريب الحديث » كلاماً نفيساً في معنى الغريب والغربة في الكلام ، وقد آثرت أن أسوقه كلّهُ ، ثم أخلى بينك وبينه ، فإنّي رأيت كثيراً من كلام الأوائل ، رحمهم الله ، يفقد حلاوته ودلالته معاً حين نعيد إلى تلخيصه أو اختصاره .

قال أبو سليمان رحمه الله (٢) : « الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم ، كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن

(١) نشر بالرباط - المغرب الأقصى - سنة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، بتحقيق الأساتذة صلاح الدين بن أحمد الإدلي ، ومحمد الحسن أجانف ، ومحمد عبد السلام الشراوى ، ونشر معه تفسير الحافظ السيوطي للحديث نفسه .

(٢) غريب الحديث ٧٠/١

الوطن ، المنقطع عن الأهل ، ومنه قولك للرجل إذا نَحَّيْتَهُ وأَقْصَيْتَهُ :
اغْرُبْ عَنِّي ، أَيْ ابْعُدْ ، ومن هذا قولهم : نَوَّيْ غُرْبَةً ، أَيْ بَعِيدَةً ،
وَشَاؤُ مُغْرَبٌ ، وَعَنْقَاءُ مُغْرَبٌ ، أَيْ جَائِيَةٌ مِنْ بَعْدٍ ، وَكُلُّ هَذَا مَأْخُوذٌ
بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ فِي الْمَصَادِر ، فَيُقَالُ : غَرَبَ الرَّجُلُ يَغْرُبُ
غَرْبًا : إِذَا تَنَحَّى وَذَهَبَ ، وَغَرَبَ غُرْبَةً : إِذَا انْقَطَعَ عَنْ أَهْلِهِ ، وَغَرِبَتْ
الْكَلِمَةُ غَرَابَةً ، وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ غُرُوبًا .

ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين :

أحدهما أن يُرادَ به بعيدُ المعنى غامضُهُ ، لا يتناولُه الفهمُ إلا عن
بُعْدٍ وَمَعَانَةٍ فِكْرٍ .

والوجه الآخر : أن يراد به كلامٌ من بُعِدَتْ به الدارُ ، ونَأَى به
المَحَلُّ مِنْ شَوَازٍ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَإِذَا وَقَعَتْ إِلَيْنَا الْكَلِمَةُ مِنْ لُغَاتِهِمْ
اسْتَغْرَبْنَاهَا ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلَامُ الْقَوْمِ وَيَبْأُتُهُمْ ، وَعَلَى هَذَا مَا جَاءَ عَنْ
بَعْضِهِمْ ، وَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَسْأَلُكَ عَنْ حَرْفٍ مِنَ الْغَرِيبِ ، فَقَالَ : هُوَ
كَلَامُ الْقَوْمِ ، إِنَّمَا الْغَرِيبُ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ مِنَ الدُّخْلَاءِ فِيهِ .

ثم يُعْلَلُ الْخَطَّابِيُّ كَثْرَةَ مَجِيءِ الْغَرِيبِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، فَيَقُولُ (١) : « إِنَّهُ ﷺ بُعِثَ مُبَلِّغًا وَمُعَلِّمًا ، فَهُوَ لَا يَزَالُ فِي كُلِّ
مَقَامٍ يَقُومُهُ وَمَوْطِنٍ يَشْهَدُهُ يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ ، وَيَنْهَى عَنْ مَنكَرٍ ، وَيَشْرَعُ
فِي حَادِثَةٍ ، وَيُفْتِي فِي نَازِلَةٍ ، وَالْأَسْمَاعُ إِلَيْهِ مُصْغِيَةٌ ، وَالْقُلُوبُ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهَا
مِنْ قَوْلِهِ وَاعِيَةٌ ، وَقَدْ تَخْتَلَفَ عَنْهَا عِبَارَاتُهُ ، وَيَتَكَرَّرُ فِيهَا بَيَانُهُ ، لِيَكُونَ أَوْقَعَ

(١) غريب الحديث : ٦٨/١

للسامعين ، وأقرب إلى فهم مَنْ كان منهم أقلَّ فقهاً ، وأقرب بالإسلام عهداً . وأولو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يُرْعَوْنَها كلها سَمْعاً ، ويستوفونها حفظاً ، ويؤدُّونها على اختلاف جهاتها ، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدَّة ألفاظ تحتها معنى واحد ، وذلك كقوله : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وفي رواية أخرى : « وللعاهر الإثلب » ، وقد مرَّ بمسامعى ولم يثبت عندي : « وللعاهر الكيكة » .

وقد يتكلَّم ﷺ في بعض النوازل ، وبحضرته أخلاط من الناس ، قبائلهم شتى ، ولغاتهم مختلفة ، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية ، وليس كلُّهم يتيسَّر لضبط اللفظ وحصره ، أو يتعمَّد لحفظه ووعيه ، وإنما يستدرك المراد بالفحوى ، ويتعلَّق منه بالمعنى ، ثم يؤدِّيه بلغته ، ويعبِّر عنه بلسان قبيلته ، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طرقُه عدَّة ألفاظ مختلفة ، مُوجِبها شيء واحد ، وهذا كما يروى أن رجلاً كان يُهدى إلى رسول الله كلَّ عام رواية خمر ، فأهداها عام حُرِّم ، فقال : إنها حُرِّمَتْ ، فاستأذنه في بيعها ، فقال له : إن الذى حَرَّمَ شُرْبها حَرَّمَ بيعها ، قال : فما أصنع بها ؟ قال : سنَّها فى البطحاء ، قال : فسنَّها ، وجاء فى رواية أخرى : فهتَّها ، وفى رواية أخرى : فَبَعَّها ، والمعنى واحد .

ولكثرة ما يردُّ من هذا ومن نظائره ، يقول أبو عبيدة معمر بن المُنْثَنَّى : « أعيانا أن نعرف أو نُحصى غريب حديث رسول الله ﷺ » . هذا كلام الخطَّابى ، وقد أورد ابن الأثير أيضاً كلاماً جيداً فى نشأة الغريب ومراحل التصنيف فيه ، تراه فى مقدمة النهاية (١) .

(١) ثم تكلمت أنا أيضاً فى مقدمة تحقيقى للنهاية عن علماء الغريب ، وسردت أسماءهم سرداً تاريخياً .

بدايات التأليف في غريب الحديث :

العلماء مجمعون على أن أوَّل من ارتاد الطريق وصنَّف في غريب الحديث هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التَّيْمِيّ بالولاء المتوفى سنة (١) (٢٠٩) ، إلّا ماذهب إليه الإمام أبو عبد الله الحاكم النِّسَابُورِي المتوفى سنة (٤٠٥) فإنه ذكر أن أوَّل من صنَّف في الغريب النضر بن شُمَيْل المتوفى سنة (٢٠٣) ، قال الحاكم رحمه الله في النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث (٢) : « هذا النوع منه معرفة الألفاظ الغريبة في المتون ، وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين ، منهم مالك والثوري وشعبة ، فمن بعدهم ، فأول من صنَّف الغريب في الإسلام النضر بن شُمَيْل ، له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع » .

ومهما يكن من أمر فإن النضر بن شميل معاصر لأبي عبيدة معمر بن المثنى كما ترى ، وفي ذلك الزمان صنّف في غريب الحديث أيضاً محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦) ، والأصمعي ، عبد الملك بن قُرَيْب المتوفى سنة (٢١٦) ، صنَّف كتاباً يقع في ورقات معدودة ، وكذلك صنَّف شمر بن حمدوية المتوفى سنة (٢٥٥) ، وغير

(١) نلاحظ أن نقول المتأخرين عن كتاب أبي عبيدة هذا قليلة جداً ، فلم أظفر بنقل عنه إلا في موضعين اثنين من « النهاية » لابن الأثير ، مادة (شقشق) ومادة (ملا) ، وفي الموضع الأول اختلفت نسخ النهاية ، فبعضها قال : « أبو عبيدة » وبعضها : « أبو عبيد » . وفي موضعين اثنين أيضاً من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي - قسم اللغات مادة (ضمن) ومادة (لقح) ، صحيح أن النقل عن أبي عبيدة كثير في كتب اللغة ، لكن النص على النقل من كتابه في غريب الحديث قليل .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨٨ .

هؤلاء من علماء ذلك القرن ، ولكن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حُصِّلت كان ما لها كالكتاب الواحد ، كما يقول الخطابي (١) .

البداية الحقيقية للتصنيف في غريب الحديث جاءت على يد الإمام الجليل أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بمكة البلد الأمين سنة (٢٢٤) ، وقد احتشد أبو عبيد لهذا العمل احتشاداً عظيماً ، وروى عنه أنه قال (٢) : « مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً منى بتلك الفائدة » .

وقد نشر هذا الكتاب الجليل بمطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، بالهند ، سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٤ في أربعة أجزاء .

ولعلماء الهند فضل مذكور مشكور في نشر كتب التراث عامة ، وكتب الحديث خاصة ، ويُحَسَّب ذلك في موازينهم عند الله تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خيرٍ مُحَضَّرًا ، لكنهم قصرُوا في نشر هذا الكتاب ، وأخلُّوا بأمرين : الأمر الأول أنهم جرَّدوا متن الكتاب من الإسناد ، حين اختاروا للنشر نسخة غير مسندة ، ووضعوا الإسناد من نسخة في الهامش ، مع أن نقول المتأخرين عن كتاب أبي عبيد ، يأتي معظمها مسنداً ، كما تراه في كتابنا هذا « منال الطالب » . وكذلك جاءت نقول المتقدمين ، كما تراه في كتاب « الزاهر » لأبي بكر بن الأنباري (٣) .

(١) غريب الحديث ، ورقة ٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٦١/٤ ، وغريب الحديث للخطابي ، ورقة ١٣ .

(٣) انظر الزاهر ٥٧/١ .

والأمر الثاني أنهم لم يصنعوا للكتاب أى نوع من الفهارس ، وكتب التراث بلا فهارس كنز بلا مفتاح ، وهذا الكتاب قد اشتمل على علم غزير ، وذكر آراء فقهية كثيرة لهؤلاء العلماء الذين لم تجمع آراؤهم ، مثل الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي^(١) ومن إليه ، هذا إلى ماتضمنه من الشواهد الشعرية التى لا ترى بعضها فى دواوين الشعراء المجموعة ، وما ذكره فى تفسير الألفاظ واشتقاقها . وقد كنت صنعت له فهرساً للألفاظ والمواد اللغوية ، طبعته على الآلة الكاتبة ، ووزعته على أساتذتي وإخواني المشتغلين بالعلم .

ثم صنعت فهرساً آخر للشواهد الشعرية فى الكتاب ، ونشرت الفهرسين معا ، بالعدد الرابع من مجلة مركز البحث العلمى بكلية الشريعة ، جامعة أم القرى .

تتابعت المصنفات فى غريب الحديث بعد أبى عبيد القاسم بن سلام ، وتنوعت مناهجها كما ذكرت من قبل ، ولم يخل قرن من تصنيف ، حتى كان زمان الإمام مجد الدين ابن الأثير ، الذى صار كتابه بحق : « النهاية » فى هذا الفن العزيز الشريف ، وقد أحصيت هذه المصنفات عدداً ، فى مقدمتى لتحقيق « النهاية » بما يُغنى عن إعادتها هنا ، فمن أراد معرفتها فليلتمسها هناك^(٢)

(١) بعد كتابة هذه المقدمة اطلعت على « موسوعة فقه إبراهيم النخعي » التى جمعها ورتب موادها على حروف المعجم ، الدكتور محمد رواس قلعة جى . وقد قام على نشر هذه الموسوعة مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى التابع لكلية الشريعة بمكة المكرمة .

(٢) انظر أيضاً : الفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٥٥ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٢/٤٠٥ ، وإنباه الرواة ٣/١٤ (ترجمة أبى عبيد القاسم بن سلام) =

ترجمة ابن الأثير

هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. الجَزَرِي ثم الموصلِي الشافعي . ويُعرف بابن الأثير ويُعرف بذلك أيضاً :

أخواه : عز الدين أبو الحسن عليّ ، المولود سنة (٥٥٥) والمتوفى سنة (٦٣٠) وهو صاحب كتاب « الكامل » في التاريخ ، و « أسد الغابة في معرفة الصحابة » و « اللباب في تهذيب الأنساب » للسمعاني .

وضياء الدين أبو الفتح نصر الله ، المولود سنة (٥٥٨) والمتوفى سنة (٦٣٧) وهو صاحب كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » . و « كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب »^(١) . ونقل صاحب تاج العروس ، في مادة (أثر) عن بعضهم ، في أبناء الأثير :

وينو الأثير ثلاثة قد حاز كلُّ مُفْتَحَرٍ
فمُؤرَّخٌ جمع العلو مَ وآخِرٌ وليَ الوزر
ومحدِّثٌ كتب الحديد ثَ له النهاية في الأثر

= وفهرس الكتب من كتاب « فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير الإشبيلي » وكشف الظنون ص ١٢٠٣ ، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار ص ٥٠ ، وما بعدها . وانظر أيضاً مذكره المصنف في مقدمة النهاية ، وما ذكره في كتابه جامع الأصول ٦٦/١ . (١) اكتشفتُ من هذا الكتاب مخطوطة نفيسة جداً بمكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة ، بمكة المكرمة ، وصورتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وذلك في سنة ١٣٩٣ ، وقد طبع بالموصل سنة ١٩٨٢م بتحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن ، ثم طبع بالقاهرة سنة ١٩٩٤م بتحقيق النبوي عبد الواحد شعلان .

وُلد مجد الدين ^(١) في أحد الربيعين ، سنة (٥٤٤) بجزيرة ابن عمر ، وهي بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيام . وقد ذكر ابن تَغْرِي بُرْدِي في النجوم الزاهرة أنه ولد سنة (٥٤٠) ، وقد تفرَّد بهذا القول ، وليس بشيء .

نشأ ابن الأثير بجزيرة ابن عمر ، ثم انتقل إلى الموصل سنة (٥٦٥) ، فجالس علماءها وأخذ عنهم ، وقد حُبِّب إليه العلم ومجالسة العلماء ، قال رحمه الله في مقدمة كتابه « جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ » : « ما زلت منذ ريعان الشباب وحدثا السنّ ، مشغولاً بطلب العلم ومجالسة أهله ، والتشبه بهم حسب الإمكان ، وذلك من فضل الله عليّ ولطفه بي ، أن حبَّبه إليّ ، فبذلت الوسع في تحصيل ما وُفِّقت له من أنواعه ، حتى صارت فيّ قوّة الاطلاع على خفاياه ، وإدراك خباياه ، ولم آل جهداً - والله الموفق - في إكمال الطلب وابتغاء الأرب ، إلى أن تشبّثت من كلّ بَطْرَف ، تشبّثت فيه بأضرائي ، ولا أقول تميزت به على أترابي ، فله الحمد على ما أنعم به من فضله وأجزل به من طوله » .

(١) ترجمته في إنباه الرواة ٢٥٧/٣ - ٢٦٠ ، البداية والنهاية ٥٤/١٣ ، بغية الوعاة ٢٧٤/٢ ، ٢٧٥ ، ذيل الروضتين ص ٦٨ ، روضات الجنات ص ٥٨٥ - ٥٨٧ ، شذرات الذهب ٢٢/٥ ، ٢٣ ، طبقات الشافعية للإسنوي ١٣٠/١ - ١٣٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٣٦٦/٨ ، ٣٦٧ ، العبر ١٩/٥ ، الكامل ٢٨٨/١٢ (وفيات سنة ٦٦٦) المختصر لأبي الفدا ١١٢/٣ ، ١١٣ مرآة الجنان ١١/٤ - ١٤ ، معجم الأدباء ٧١/١٧ - ٧٧ ، مفتاح السعادة ١٢٨/١ ، ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ ، ١٩٩ ، وفيات الأعيان ١٤١/٤ - ١٤٣ ، وهدية العارفين ٢/٢ ، ٣ ، والأعلام ١٥٢/٦ ، ومعجم المؤلفين ١٧٤/٨ .

وقد ترجم له أيضاً ابن الشَّعَّار الموصلي في كتابه « عقود الجمان في شعراء هذا الزمان » الجزء السادس من مخطوطة أسعد أفندي باستانبول . ومن هذه المخطوطة صورة بمعهد المخطوطات ، برقم (٢٣٩) تاريخ .

وقد تَلَمَذَ ابنُ الأثير لطائفة من علماء عصره ، فسمع الحديث بالموصل من جماعة ، منهم خطيب الموصل ، أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة (٥٧٨) (١) .

وقدم بغدادَ حاجاً فسمع بها من أبي القاسم يعيش بن صدقة بن علي الشافعي المعروف بصاحب ابن الحَلِّ ، المتوفى سنة (٥٩٣) (٢) وسمع بها أيضاً من ابن كُليب ، وهو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهَّاب بن سعد الحرَّاني ثم البغدادي الحنبلي التاجر المتوفى سنة (٥٩٦) (٣) .

وبغداد سمع كذلك من مسند العراق ومحدِّثه ضياء الدين عبد الوهَّاب بن علي الصوفي الفقيه الشافعي المعروف بابن سُكينة - وسكينة جدته أم أبيه - المتوفى سنة (٦٠٧) (٤) .

وقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك ابن علي بن الدهَّان البغدادي النحوي المتوفى سنة (٥٦٩) (٥) ، وقد شرح ابن الأثير كتابه « الفصول » كما سيمرّ عليك قريباً إن شاء الله .
وقرأ النحو أيضاً على أبي الحرم مكّي بن ريان بن شُبّة بن صالح الماكسيني النحوي الضرير ، نزيل الموصل ، المتوفى سنة (٦٠٣) (٦) .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١١٩/٧ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٤١/٤ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣٣٨/٧ ، وقد كنت قلت في تقدمتي للنهاية ص ١٥ إنني لم أعرف ترجمة لأبي القاسم هذا ، وهذه ترجمته قد دلتك على مكانها .

(٣) وفيات الأعيان ٢٢٧/٣ ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٤/٨ .

(٥) إنباه الرواة ٤٧/٢ ، وبغية الوعاة ٥٨٧/١ .

(٦) إنباه الرواة ٣٢٠/٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٩/٢ .

وأخذ النحو وسمع الحديث من أنى بكر يحيى بن سعدون بن تمام
ابن محمد الأزدي القرطبي النحوى اللغوى المقرئ الأديب المتوفى
بالموصل سنة (٥٦٧) (١) .

وقد روى عن ابن الأثير رحمه الله جماعة ، منهم ولده (٢) ،
والشَّهاب الطُّوسى ، وهو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد ، نزيل
مصر ، وشيخ الشافعية بها ، المتوفى سنة (٥٩٦) (٣) .

وروى عنه أيضاً الوزير القفطى صاحب « إنباه الرواه » ، قال فى
موضع ترجمته المذكورة : « ورويت عنه رحمه الله » ، ثم قال : « كتب إلى
الإجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته » .

وآخر من روى عنه بالإجازة : فخر الدين بن البخارى ، وهو
أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المتوفى سنة (٦٩٠) (٤) .

وقد أثنى المؤرخون على مجد الدين بن الأثير ثناء حسناً ، فقال
أخوه عز الدين : « كان عالماً فى عدّة علوم ، مبرزاً فيها ، منها الفقه
والأصولان (٥) والنحو والحديث واللغة ، وله تصانيف مشهورة فى التفسير
والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة .

(١) طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧٢/٢ ، وبغية الوعاة ٣٣٤/٢ .

(٢) هكذا قال ابن السبكي ، ولم يذكر اسمه .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٦/٦ ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٤/٨ .

(٥) أى أصول الدين وأصول الفقه .

وكان كاتباً مفلحاً ، يُضرب به المثل ، ذا دين متين ، ولزوم طريق مستقيم ، رحمه الله ورضى عنه ، فلقد كان من محاسن الزمان . ولعلّ مَنْ يقف على مذكرته يتّهمنى فى قولى ، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنى مقصّر » .

وقال ياقوت : « كان عالماً فاضلاً ، وسيداً كاملاً ، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه ، وصحته وسقمه ، والفقه ، وكان شافعيّاً » .

وقال ابن خلّكان ، فيما حكى عنه الإسئوى (١) : « كان فقيهاً محدّثاً ، أديباً نحويّاً ، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء ، ورعاً عاقلاً مهيباً ، ذا برٍّ وإحسان » .

وقال ابن السبكي : « كان فاضلاً رئيساً ، مشاراً إليه » .
ولهذه الفضائل التى اجتمعت لابن الأثير اتّجه إليه الحكماء ، وربّوا له الوظائف ليفيدوا من علمه وفضله .

قال ياقوت : « حدثنى أخوه أبو الحسن ، قال : تولى أخى أبو السعادات الخزّانة لسيف الدين الغازى بن مودود بن زنكى ، ثم ولّاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل ، فتاب فى الديوان عن الوزير جلال الدين أبى الحسن على بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز [وكان نائب المملّكة] (٢)

(١) الموضع السابق من طبقات الشافعية ، ولم أجد كلام ابن خلّكان هذا فى كتابه « وفيات الأعيان » المطبوع .

(٢) زيادة من وفيات الأعيان .

بالموصل ، فقال عنده درجة رفيعة ، فلما قبض على مجاهد الدين سنة (٥٨٩) اتصل بخدمة الأتابك عز الدين مسعود بن مودود [وولى ديوان الإنشاء له] ^(١) إلى أن توفي عز الدين ، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه ، فصار واحد دولته حقيقة ، بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه ؛ لأنه أقعد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعب عليه ، فكان يجيئه بنفسه ، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذى هو اليوم أمير الموصل .

وكان مجد الدين رحمه الله ذا دين متين ، كما وصفه أخوه عز الدين ، فلم تبهره أضواء الحكم ، ولم تشنه عما أخذ به نفسه من الدرس والتحصيل ، وقد أراد نور الدين المذكور أن يستخلصه لنفسه ، فعرض عليه الوزارة غير مرة فرفضها ، وهى منصب خطير تعشو إليه الأنظار وتعنو له الجباه .

قال ياقوت : « حدثنى أخوه المذكور ، قال : حدثنى أخى أبو السعادات ، قال : لقد ألزمنى نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه ، حتى غضب منى وأمر بالتوكيل بى . قال : فجعلت أبكى ، فبلغه ذلك ، فجاءنى وأنا على تلك الحال ، فقال لى : أبلغ الأمر إلى هذا ؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ماكرهت ! فقلت : أنا يامولانا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمري ، واشتهر ذلك عنى فى البلاد بأسرها ، وأعلم أننى لو اجتهدت فى إقامة العدل بغاية جهدى ما قدرت أودى حقه ، ولو ظلم أكار ^(٢) فى ضيعة من أقصى أعمال السلطان

(١) زيادة من طبقات الشافعية .

(٢) الأكار : الحراث الذى يحرق الأرض .

لنُسب ظلمه إلَيَّ ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة عليّ ، والمُلك لا يستقيم إلا بالتَّسْمُح في العَسْف ، وأخذ هذا الحق بالشَّدة ، وأنا لا أقدر على ذلك . فأعفاه ، وجاءنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال ، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع ، فلم يؤثر اللوم عنده أسفا .

وهكذا سارت حياة أبي السعادات بين عُزوف عن الدنيا ، وإقبال على العلم ، ورغبة في المعرفة ، واستكثار من الخير والبرّ ، حتى عرض له مرض النُّقرس ، فأبطل حركة يديه ورجليه ، بحيث صار يُحْمَل في مَحْفَة ، ولقد قابل رحمه الله هذه المحنة بقلب راضٍ ونفسٍ مطمئنة ، ورأى فيها الفرصة للبعد عن ضوضاء الناس وهوهم ، والفراغ إلى الدرس والتصنيف .

قال ابن خلكان ^(١) : « حكى أخوه عز الدين أبو الحسن عليّ ، أنه لما أُقعد جاءهم رجل مغربي ، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً إلاّ بعد بُرئه ، فمِلنا إلى قوله ، وأخذ في معالجته بِدُهْنٍ صنعه ، فظهرت ثمرة صنعته ، ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مَدِّهما ، وأشرف على كمال البرء . فقال لي : أعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه ، فقلت له : لماذا وقد ظهر نُجْحُ معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت رُوحِي إلى الانقطاع والدَّعة ، وقد كنت بالأمس وأنا مُعافئٌ أَذِلّ نفسي بالسَّعي إليهم ، وهنا أنا اليوم قاعدٌ في

(١) الموضوع السابق من وفيات الأعيان . وقد حكى هذه القصة بهاء الدين العاملي

في الكشكول ٣٣/١ .

منزلى ، فإذا طرأت لهم أمورٌ ضروريةٌ جاءونى بأنفسهم لأخذ رأى ،
وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله
ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعنى أعيش باقيه حراً
سليماً من الذل ، وقد أخذت منه أوفرَ حظ (١) .

قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان .

وهكذا لزم الرجل بيته صابراً محتسباً يغشاه الأكابر ، ويحفد إليه
العلماء ، يقبسون من علمه ، وينهلون من فيضه ، وكان آجره الله قد أنشأ
رباطاً بقرية من قرى الموصل ، تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه
وعلى داره التى كان يسكنها بالموصل ، ووقف داره على الصوفية .

قال ابن خلكان : « وبلغنى أنه صنف هذه الكتب كلها فى مدّة
العطلة ، فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها فى الاختيار
والكتابة » .

وفى يوم الخميس سلخ ذى الحجة سنة (٦٠٦) فاضت روحه
الطاهرة ، وصعدت إلى بارئها راضية مرضية ودفن برباطه بدرب درّاج
داخل البلد . رحمه الله رحمةً سابغة ، وجزاه بما يجزى به عباده المخلصين .
قال القفطى : « ذكر لى أخوه أبو الحسن على أنه رآه بعد موته
أن نجاسة قد آذته . قال : فاستقصيت وبحث عن صحة هذه الرؤيا ،
فوجدت أحد الأهالى قد أطلق غنماً له فوق سطح الصُفّة التى

(١) انظر شبيه هذا فى ترجمة عبد الملك الطبرى ، نزىل مكة المكرمة ، من طبقات
الشافعية الكبرى ١٩١/٧ .

هو فيها مدفون ، وقد كثر ما يخرج من أجوافها فوق ذلك ، فأزلته ونظفته مما حصل فيه .

مصنفاته :

ترك مجد الدين ابن الأثير طائفة من المؤلفات القيّمة ، تشهد بثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير . وهذا تعريف بمصنفاته ، مخطوطها ومطبوعها ، وما لم يذكر عنه شيء فهو مما ذكرته مصادر ترجمته فقط :

١ - الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف (١)

قال ياقوت : أربع مجلدات .

٢ - الباهر في الفروق

في النحو : ذكره ياقوت والسيوطي ، وهو عند ابن السبكي باسم : الفروق والأبنية .

٣ - البديع

في النحو . ذكره ياقوت والقفطي والسيوطي . وذكره ابن خلكان وابن السبكي وابن تَعْرَى بِرَدِي باسم : « البديع في شرح الفصول لابن الدهان » .

(١) الكشف والبيان في تفسير القرآن ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة (٤٢٧) ، ومخطوطات هذا الكتاب كثيرة ، منها نسخة نفيسة جداً ، كتبت في أوائل القرن السابع بمدينة الفيوم من ديار مصر - حرسها الله - وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقد رأيت هذه النسخة سنة ١٣٩٣ ، وصورتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . والكشاف لجار الله الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨) .

قال ياقوت : « نحو الأربعين كراسة ، وقال : وقفنى عليه [أخوه عز الدين ابن الأثير] فوجدته بديعاً كاسمه ، سلك فيه مسلكاً غريباً ، وبوبه تبويهاً عجيباً » .

وقد أخبرنى أخى الشيخ عبد الرحمن العثيمين ، المعيد بكلية الشريعة بمكة المكرمة أنه رأى من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بإحدى المكتبات بمدينة استانبول . صانها الله من الآفات .

٤ - تجريد أسماء الصحابة

ذكره الأستاذ الزركلى . رحمه الله رحمة واسعة . والكتاب بهذا العنوان معروف للحافظ الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨) وهو مطبوع بالهند .

٥ - تهذيب فصول ابن الدهان

ذكره ياقوت والسيوطى ، وهو فى النحو أيضاً .

٦ - جامع الأصول فى أحاديث الرسول

قال ياقوت : « جمع فيه بين البخارى ومسلم والموطأ وسنن أبى داود وسنن النسائى والترمذى ، عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبّه على جميع ما يحتاج إليه منها ثم قال : أقطع قطعاً أنه لم يصنّف مثله قط ولا يصنّف » .

وقد طبع فى القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ - ١٩٤٩ ، فى اثنى عشر جزءاً ، بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقى ، وهى طبعة ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملاً بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، بدمشق سنة ١٣٩٤ - ١٩٧٤ ، فى أحد عشر جزءاً ، وهى طبعة جيدة ،

ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملاً بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ،
بدمشق سنة ١٣٤٩ - ١٩٧٤ ، في أحد عشر جزءاً ، وهي طبعة جيدة ^(١)

٧ - الجواهر والّلال من إنشاء المولى الجلال

ذكرها ابن الشعّار الموصلي في عقود الجمان ، وإسماعيل
البغدادى في هدية العارفين ، قال ابن الشعّار : وجمع رسائل الوزير
جلال الدين أبى الحسن ، كتاباً ، وسماه : الجواهر والّلال من إنشاء المولى
الجلال .

٨ - ديوان رسائل

قال ابن الشعّار ، وهو يعدّد تصانيف ابن الأثير : ورسائل
مدونة في مجلدتين ، عنى بجمعها أبو محمد إسماعيل بن على الكاتب
الخُضَيْرى ^(٢) ، وترجمها بالدر المنثور .

٩ - رسائل في الحساب مجدولات

ذكرها ياقوت .

١٠ - الشافى ، شرح مسند الشافعى

ويسمى : شافى العى بشرح مسند الشافعى

(١) وقفت على عدة أجزاء مخطوطة نفيسة من هذا الكتاب ، محفوظة بمكتبة الجامع
الكبير بمدينة صنعاء ، وقد صورتها سنة ١٣٩٤ ، وهي مودعة الآن بمعهد المخطوطات
بالقاهرة . ولعل الأستاذ الأرناؤوط يستفيد من هذه الأجزاء في طبعته الثانية إن شاء الله .
(٢) كان فاضلاً أديباً ، توفي ببغداد سنة ٦٠٣ . راجع الأعلام ٣١٦/١ .

قال ياقوت : « أبدع في تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة » .

منه نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٠٦) حديث في أربع مجلدات ، ونسخة أخرى في مجلد واحد ، برقم (١١٨٤ - ٢٢ ب)

شرح غريب الطوال

ذكره ابن السبكي : وهو كتاب « منال الطالب » الذي نُقِّدَ

له

١١ - صناعة الكتاب

هكذا سماه إسماعيل باشا البغدادى ، وهو عند ابن خلكان وابن تغرى بردى باسم : « كتاب لطيف في صناعة الكتابة » . وهذا وصف لا عنوان .

الفروق والأبنية

هكذا سماه ابن السبكي . وهو « الباهر في الفروق » . وسبق .

١٢ - المختار في مناقب الأخيار - أو الأبرار

ذكره ياقوت ، وقال : « أربع مجلدات » منه نسخة بليدن ، برقم (١٠٩٠) ، كما يوجد النصف الثانى منه بمكتبة فيض الله باستانبول ، برقم (١٥١٦) ^(١) ، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومنه نسخة مكتوبة سنة ٧٤٨ ، بمكتبة تشسترى ، رقم ٣٤٤١

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣٥٧/١ ، وملحق الجزء الأول ص ٦٠٧ .

١٣ - المرصع في الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات والأذواء والذوات

ذكره ياقوت وابن السبكي والسيوطي . قال ياقوت : « مجلد » .
وقال السيوطي : وقفت عليه ، ولخصت منه الكُنَى في كراسة » .
طبع هذا الكتاب أول ما طبع في « وymar » سنة ١٨٩٦ م ، بعناية
« سيبولد » الألماني ، في ٢٦٧ ص من القطع الصغير ^(١) . ثم أعاد نشره
وتحقيقه الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ، في بغداد سنة ١٣٩١ -
١٩٧١ .

١٤ - المصطفى واختار في الأدعية والأذكار

ذكره ابن خلكان وابن تَعْرِي بَرْدِي وابن السبكي وابن العماد
الحنبلي .

١٥ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب

وهو هذا الذي نُقِّدَ له .

١٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر

أشهر كتب ابن الأثير على الإطلاق . وقد طبع عدة طبعات .
آخرها الطبعة التي نشرتها سنة ١٣٨٣ - ١٩٦٣ ، في خمسة أجزاء بمطبعة
عيسى البابي الحلبي بالقاهرة . وقد سطا على هذه الطبعة مصوِّرو الكتب

(١) معجم المطبوعات العربية لإليان سركيس ص ٣٤ ، ٣٥ .

فى بيروت ، وأصدروا منها طبعتين ^(١) ، ففوّتوا بذلك علىّ فرصة استدراك ما فرط منى من هَنَاتٍ وَزَلَّاتٍ ، فلقد كان عملى فى هذا الكتاب من أوائل اشتغالى بالعلم . لكنى أحمد الله أن وفقنى لصنع فهرسَ جامعةٍ لذلك الكتاب العظيم . وفى هذه الفهارس خيرٌ كثير إن شاء الله .

هذا الكتاب

لا أعلم لهذا الكتاب سَمِيًّا فى مناهج ^(٢) من صَنَّفُوا فى غريب الحديث ، فقد جرَّد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين - جرَّد ابن الأثير هذه الأحاديث من كتب السنّة والسيرة ، وأفرد لشرحها هذا الكتاب .

وقد قسم ابن الأثير الكتاب إلى قسمين : الأول فى أحاديث رسول الله ﷺ ، مما له فيه كلامٌ أو ذكرٌ سبق الحديثُ له ، أو بُنى عليه . ومعظم أحاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ وأحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه ﷺ .

والقسم الثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم أجمعين .

منهج ابن الأثير فى إيراد الأحاديث وشرحها

صدَّر ابن الأثير كتابه بمقدمة كاشفة ، أبان فيها عن منهجه

(١) بل زادت طبعات الكتاب المصوّرة على العشر ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢) راجع ما سبق فى صدر مقدمة التحقيق .

وسبيله في اختيار الأحاديث وشرحها ، ويبقى أن أذكر أشياء حول هذا المنهج ، تكشف عن خصائصه ، ثم تُنزل الكتاب منزلته من كتب العربية ، فأقول وبالله التوفيق :

جرى ابن الأثير على أن يورد الحديث كاملاً ، ثم يذكر في آخره مَنْ أخرج من علماء الحديث والغريب ، ويعقب بما قيل في الحديث جرحاً وتعديلاً ، وقبولاً ورداً^(١) .

وكثير من هذه الأحاديث الطوال قد تكلم فيها علماء الجرح والتعديل ، وضعفوا طرقها ووهنوا رواتها ، ولم يغب هذا عن ابن الأثير ، وهو المحدث الكبير ، صاحب « جامع الأصول » وشارح « مسند الشافعي » . فيقول في آخر حديث قس بن ساعدة الإيادي : « حديث قس بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه ، حديث مشهور متداول بين رواة الحديث وأئمة ، وقد ذكر بعض الحفاظ أنه موضوع .

فأما الرواية الأولى فهي معروفة بمحمد بن الحجاج اللخمي ، عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن ابن عباس ، وقد أخرجها أبو القاسم البغوي ، وأبو القاسم الطبراني وغيرهما .

وأما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بشر بن ثُمير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أبو موسى : وهو غريب من هذا الوجه ، وقد روى عن ابن عباس من غير وجه ، وروى عن أنس بن مالك وأبي لبابة ، وكأن ألفاظها مصنوعة ملفقة ، لكن هكذا يروى ، على أنا قد تركنا بعض ألفاظه التي أطالوه بها اختصاراً ، والله أعلم .

(١) وما سكت عنه ابن الأثير ، أو اختصر فيه القول ، حاولت أن أذكر آراء العلماء فيه ، على ضعف مُنتهى وقلة بضاعتى في هذا الشأن ، وسترى ذلك حين تأتي قراءتك على حواشي الكتاب إن شاء الله - انظر مثلاً ما ذكرته في التعليق على حديث قس بن ساعدة .

وأبين من هذا في الدلالة على رأى ابن الأثير في الأحاديث الطوال
ماذكره في آخر حديث فذلك ، عن السيدة فاطمة الزهراء ، رضى الله
عنها .

قال رحمه الله : « هذا الحديث أكثر ما يروى من طريق أهل البيت
وإن كان قد روى من طريق أخرى أطول من هذا وأكثر ، وأهل الحديث
يقولون إنه موضوع على فاطمة .

وقال ابن قتيبة : قد كنت كتبت وأنا أرى أن له أصلاً ، وسألت
عنه رجال الحديث ، فقال لى بعضُ نقلة الأخبار : أنا أسنُّ من هذا
الحديث ، وأعرف من عمله .

قلت : هذا الحديث وإن كان موضوعاً كما ذكر ، فهو من أفصح
الكلام وأحسنه مأخذاً واحتجاجاً ، ولعل واضعه لا ينقص درجةً عن
الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكُتِبَ غريب الحديث مشحونةً بشرح
كلامه وخُطبه ، فلا بأس أن يُجرى هذا الحديث مجراها فى شرح غريبه
ومعانيه ، ولعل أكثر ما يروى من أحاديث الغريب الطوال جاريةً هذا
المجرى فى التصنع . والله أعلم .

وهذا الكلام صريح الدلالة على أن الغاية التى تغيّاها ابن الأثير
من وضع هذا الكتاب إنما هى غاية لغوية . وهذا شأن كتب غريب
الحديث ، تدور كلها فى فلك اللغة : معانى واشتقاقا ودلالات ، إلا ما قد
تراه عند الإمام الجليل أبى عبيد القاسم بن سلام ، من آراءٍ فقهيةٍ نثرها
فى كتابه « غريب الحديث » .

وقد يزيد هذا الأمر وضوحاً ماذكره فى آخر أحاديث على بن أبى

طالب كرم الله وجهه ، فقد أورد له أحد عشر حديثاً ، ثم قال في آخرها : « كلام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الكثير الغريب ، كثير ، وقد أوردنا منه هذه الأطراف اليسيرة مناسبة لما أودعناه في هذا الكتاب من الاختصار ، ومن أراد الوقوف على كلامه فليطلبه من مظائنه » .

فابن الأثير رحمه الله إنما استكثر من حديث على بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، لما اشتمل عليه من غريب اللغة ، ليس غير .

على أن ابن الأثير قد يشرح بعض الأحاديث ، لا لغريب ألفاظها ، بل لإشكال معناها ، كما صنع في حديث معاوية بن أبي سفيان وحواره مع عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهم ، فإنه قال في آخر ذلك الحديث : « أخرجه القتيبي ، وإنما ذكرناه مع قلة غريبه لإشكال معناه » .

وما يتصل بالمعاني مذكوره في حديث وائل بن حُجر الحضرمي ، من اختلاف أبي حنيفة والشافعي ، رضى الله عنهما ، في مسألة الخِلاط في الزكاة .

ومنه أيضاً توفيقه بين الأحاديث التي قد تبدو متعارضة ، كما تراه في حديث صفة النبي ﷺ ، المروى عن هند بن أبي هالة ، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه .

النحو في الكتاب

عرض ابن الأثير لمسائل كثيرة من علم النحو ، توجيهاً وإعراباً ، وترى ذلك في أحاديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني ،

والاستسقاء ، ولقمان بن عاد ، ولقيط بن عامر العُقيلي ، وابن زُمْل
الجهني ، وقسّ بن ساعدة الإيادي ، وأبي بكر الصديق ، وحديث
عائشة بنت أبي بكر الصديق ، المتضمّن حديث أم زرع .

وقد رأيت يجرى على قواعد البصريين ، ومن ذلك توجيهه لقوله
تعالى : « وما متّ إلاّ له مقامٌ معلوم » بأنّه على حذف الموصوف ، وقد
أثبت في تعلّيقاتي أنّ هذا هو رأي البصريين (١) .

الشواهد الشعرية في الكتاب

ابن الأثير مقلّد من الاستشهاد بالشعر ، ترى ذلك في هذا
الكتاب ، كما تراه في كتابه « النهاية » . مع أنّ أبا عبيد وابن قتيبة
والخطّابي - وهم الرواد الأوائل في علم غريب الحديث - قد استكثروا في
كتبهم من شواهد الشعر .

وقد ترك ابن الأثير أبياتاً ذوات عدد دون نسبة ، كما اضطرب في
نسبة هذا الشاهد :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلّها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

فنسبه في الحديث العاشر من أحاديث علي بن أبي طالب ، رضى
الله عنه ، إلى قيس بن الخطيم ، على حين نسبه في حديث الحجاج بن
يوسف الثقفي إلى ابن حطّان ، وسأتكلم عليه في موضعه من التحقيق
إن شاء الله .

(١) انظر حديث جرير بن عبد الله البجلي ، رضى الله عنه .

موارد ابن الأثير في الكتاب

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف في غريب الحديث ، وصرّح بالنقل عنهم ، وذكر في آخر كلّ حديث مَنْ أخرجهم منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخارى ومسلم ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والمغازي لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبد الملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبراني ، ومعجم الحافظ أبي أحمد العسّال ^(١) ، والإكمال لابن ماكولا ، والحلية لأبي نعيم الأصبهاني ، وما قالت القرابة في الصحابة ، والمؤتلف والمختلف ، كلاهما للدارقطني .

وقد رأيت ابن الأثير يدور في فلك أربعة من العلماء : ابن قتيبة والخطابي والزنجشري وأبي موسى المديني الأصبهاني ^(٢) . وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث إفادة بالغة ، وعوّل عليهم كثيرا .

ونعم يذكر ابن الأثير في آخر حديث طهفة بن أبي زهير النهدي ، أنه وجد فيه زيادة لم يجدها في كتب هؤلاء الأربعة ، ثم وجدته أنا قد زاد على ما ذكره ابن قتيبة والزنجشري في الرواية والشرح ^(٣) ، لكنّ تظل كتب هؤلاء الأعلام العماد والأساس لكتاب ابن الأثير .

(١) نقل عنه من طريق الحافظ أبي موسى المديني الأصبهاني . (انظر حديث أم

معيد) .

(٢) وقد كان كتاب أبي موسى المسمى (المغيث في غريب القرآن والحديث) أحد كتابين أدار عليهما ابن الأثير كتابه (النهاية) ورمزه هناك (س) ، والكتاب الثاني هو كتاب (الغريين) لأبي عبيد الهروي ، ورمزه هناك (هـ) وقد أفاد ابن الأثير من الغريين أيضاً في (منال الطالب) .

(٣) راجع حديث وائل بن حجر ، وحديث ابن زمل الجهني .

ويُعدّ ماحكاه ابن الأثير عن (غريب الحديث) لابن قتيبة ، توثيقاً مهماً له ، فقد أورد أربعة أحاديث في الجزء الأول ، وذكر أن ابن قتيبة أخرجها في كتابه ، وهي أحاديث : طهفة بن أبي زهير النهدي ، وقطن ابن حارثة واستسقاء النبي ﷺ ، وكتاب قریش والأنصار .

ولم أجد هذه الأحاديث في (غريب الحديث) لابن قتيبة الذي حققه ونشره الأخ الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري ، ببغداد سنة ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .

ومعروف أنه لا توجد نسخة كاملة من غريب ابن قتيبة هذا ، ونشرة الأخ الدكتور الجبوري إنما هي عن أجزاء من نسخ مختلفة .

وهذا الذي حكاه ابن الأثير عن ابن قتيبة يدل على أن هناك نقصاً في الكتاب ، وبخاصة في الجزء الأول المتضمن أحاديث رسول الله ﷺ (١) .

وليس ابن الأثير وحده هو الذي ذكر أن ابن قتيبة قد أخرج حديثي طهفة بن أبي زهير ، وقطن بن حارثة ، فقد ذكر ذلك أيضاً أبو عبيد الهروي في (الغريبين) والحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) وقد أشرت إلى ذلك في موضعه من التحقيق .

ابن الأثير والزمخشري

الزمخشري إمامٌ من أئمة العربية ، وكتابه (الفائق) من أصول علم

(١) لقد أحسن الأخ الدكتور عبد الله الجبوري كلّ الإحسان حين جمع أجزاء هذا الكتاب العظيم من مختلف مكتبات العالم ، ثم أقام عليه درساً علمياً للدكتوراه ، وحققه تحقيقاً جيداً ، ولعل الله ييسر له نسخة كاملة من الكتاب .

غريب الحديث ، وقد أثنى عليه ابن الأثير في مقدمة (النهاية) ، فقال :
« لقد صادف هذا الاسم مُسمًى وكشف من غريب الحديث كلّ
مُعَمًى » .

وقد أفاد منه ابن الأثير كثيراً في كتابيه (النهاية) و (منال الطالب)
مصرّحاً بالأخذ عنه ، غير أنى رأيت في مواطن كثيرة جداً يستاق كلام
الزنجشري ، دون أن يصّرح بالنقل منه والعزو إليه ، وهذا فاش مستفيض
في (النهاية) ، لكن الذى يعيننا هنا أخذه في (المنال) .

لقد أودع ابن الأثير كتابه هذا كثيراً من شروح الزنجشري
وتوجيهاته التى سلخها من (الفائق) ، ولا سبيل إلى ذكر كل ما وقعت
عليه ، فهو إلى الكثرة ماهو ، وإنما أكتفى ببعض الأمثلة :

ماتراه في شرح حديث طهفة بن أبى زهير النهدي ، وكذلك
ماذكره في توجيه التأنيث في « مطهرة » من حديث لقيط من عامر
العُقيلي ، ومثلهما مافى حديث لقمان بن عاد ، وأم معبد . وقد نبّهت
على ذلك في حواشى التحقيق .

على أنى وجدت ابن الأثير يغير على شرح الزنجشري كلّ في بعض
الأحاديث ، مع تغيير بعض عبارات الزنجشري الجاسية ^(١) الموغلة في
الغربة إلى ألفاظ مألوفة مأنوسة . فمن ذلك :

يقول الزنجشري في حديث « لقمان بن عاد » : أراد أن عيشه
عيش الصعاليك ، إن ظفر بشيء ألماً عليه ، وإلاّ فهو موطن نفسه على
معاناة خشونة الحال وشظف العيش .

(١) أى الصلبة يقال : جسا ، أى صلب . ومن تعبيراتهم القديمة : « في ألفاظ
فلان جُسُو ونكارة » .

ويقول ابن الأثير : أراد أن عيشه عيش الصعاليك ، إن ظفر
بشيء أخذه ، وإلا فهو موطنٌ نفسه على معاناة خشونة الحال وشدة
العيش (١) .

أرأيتَ إلى « أَلْمَأ » و « أَخَذ » و « شَظَف » و « شَدَّة » ؟
ويقول الزمخشري : البوغاء : دقاق التراب الهافي في الهواء ...
وارتفعت بوغاء الطَّيب : إذا سطعت سواطع فوحه .

ويقول ابن الأثير : البوغاء : دقاق التراب الطائر في الهواء .
وارتفعت بوغاء الطَّيب : إذا سطعت رائحته (٢) .
وتأمل : « الهافي في الهواء » و « الطائر في الهواء » و « سطعت
سواطع فوحه » و « سطعت رائحته » .

ويقول الزمخشري : المرمِل : الذى نَفِدَ زادُه ، فرَّقَ حاله
وسَخُفَّت ، من الرمل ، وهو نَسَجٌ سَخيف .
ويقول ابن الأثير : المرمِل : الذى نَفِدَ زادُه ، فرَّقَ حاله
وضَعُفَّت ، من الرمل ، وهو نَسَجٌ ضَعِيف خَفِيف (٣) .

ويقول الزمخشري : والضَّلِيع في الأصل : الذى عَظُمَت أضلاعُه
ووفرت ، فأجفر جَنَباه ، ثم استعمل في موضع العَظِيم ، وإن لم يكن ثَمَّ
أضلاع .

(١) منال الطالب (حديث لقمان بن عاد) والفائق ٧٨/١ ، ويقال : أَلْمَأ عليه :
ذهب به خفية .

(٢) منال الطالب (حديث سطيح) والفائق ٤٢/٢ .

(٣) منال الطالب (حديث أم معبد) والفائق ٩٦/١ .

ويقول ابن الأثير : والضليع في الأصل : الذى عظمت أضلاعه
واتسع جنباه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل عظيم ، وإن لم يكن ثم
أضلاع (١) .

وقول الزمخشري : « أجفر جنباه » بمعنى « اتسع جنباه » التى
أثبتها ابن الأثير . ورحم الله أبا حيان النحوى ، فإنه لو وقعت له
« أجفر » هذه ، لقال فيها مايقوله في بعض كلام الزمخشري الذى يناقشه
في (البحر المحيط) ، فإنه يقول في مثل هذا الموطن : « وفيه عَجْرَفِيَّة
العَجَم » .

ويقول الزمخشري : الدَّلِيف : هو المَشْنَى الرَّوَيْد ، والتقدّم في
رفق .

ويقول ابن الأثير : الدَّلِيف : المشى المتأني ، والتقدّم في رفق (٢) .
وحسبك هذا ، فهو كافٍ في الدلالة على ماذهبت إليه .
هذا ، وقد تعقب ابن الأثير الزمخشري في أشياء : فأشار إلى أنه
يذكر الأحاديث بغير إسناد . فيقول في آخر حديث صفة النبي ﷺ ،
المروى عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : « وأخرج الزمخشري أكثره
بغير إسنادٍ على عادته » .

وضَعَفَ ماذهب إليه في تأويل هذا البيت الذى يروى في حديث

سطيح :

أزرق ممهى الناب صرّار الأذن

(١) منال الطالب (حديث هند بن أبى هالة) والفاائق ٢٢٩/٢ .

(٢) منال الطالب (حديث رقيقة بنت أبى صيفى) والفاائق ٦١/٣ ، وانظر أيضاً في

هذا الموضوع من الكتاين تفسير « الصحل » .

فقال : « رواه الزمخشري « مهمى الناب » ، وقال : هو مقلوب من المهمى : المحدد ، والظاهر - والله أعلم - أنه تصحيف قد وقع إليه كذا ، فاحتال لتأويله وجها » .

هذا كلام ابن الأثير ، وقد علقت عليه في تحقيقى ، بأن الذى فى (الفائق) المطبوع : « مهمى » بميمين بعدهما هاء ، وقال الزمخشري : « وهو من المهى ، مقلوب » ، وكذلك حكاه عنه ابن الأثير فى النهاية ، ترجمة (مهم) .

ومما يتصل بهذا ما حكاه ابن الأثير عن الزمخشري ، فى شرح حديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال ابن الأثير : وانصاح : مطاوع صاحبه يصوحه : إذا شقه هكذا شرحه الزمخشري ، وقال : ذكره الهروى فى الضاد والخاء المعجمتين ، وهو تصحيف منكر . قلت : الذى وجدته فى (الفائق) المطبوع ^(١) : « ومنضاخ ، بالضاد والخاء المعجمتين تصحيف منكر » . لم يزد الزمخشري على هذا ، ولم يذكر الهروى ولا غيره .

بين المنال والنهاية

صرّح ابن الأثير فى مقدمة (منال الطالب) بأنه أخذ فى تصنيفه بعد كتابه (النهاية فى غريب الحديث والأثر) الذى فرق فيه الغريب على حروف الهجاء ، وقد اقتضاه هذا أن ينتزع من الحديث الجزء المشتمل

(١) الفائق ٣١/٢ .

على الغرب وحده ، قال رحمه الله عن كتاب (النهاية) : « فلا تكاد تجد فيه حديثاً تاماً وإن قلَّ كَلِمُهُ ، ولا أثراً متسقاً وإن استقلَّ منتظمه » (١) . فهو كتاب لغة كما ترى .

أما كتاب (المنال) فقد جمع فيه الأحاديث والآثار الطوال والأوساط بتمامها وأخذ في شرحها ، فهو كتاب حديث ولغة ، وإن كانت الغاية التي تغياها من وضع الكتاب لغوية ، كما أسلفت القول . ولما كانت (النهاية) بهذه المثابة فقد كثرت المادة اللغوية فيها وغزرت ، ولم يتسع القول فيها لبسط الشرح وتعدد الروايات ومناقشتها ، على نحو ما جاء في (منال الطالب) .

فقد بسط ابن الأثير في (المنال) ما اختصره في (النهاية) فمن ذلك : تفسيره لوضائع الملك ، في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي ، فقد عرض في (المنال) لرأى ابن قتيبة ، وذكر ردّ أبي موسى المديني عليه ، ثم تكلم على فتح الميم وضمها في « الملك » ، وقد اختصر كل ذلك في (النهاية) اختصاراً (٢) .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في حديث قطن بن حارثة ، في تفسير « الهمولة » . قال في (المنال) : « الهمولة : الإبل التي أهملت للرعى ، وتركت حيث شاءت ، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعلة ، ولهذا أكدها بالراعية » .

(١) مقدمة منال الطالب . وراجع ما كتبه من قبل عن منهج ابن الأثير في إيراد الأحاديث وشرحها .

(٢) المنال (حديث طهفة) والنهاية (وضع) ١٩٨/٥ .

وقال في (النهاية) في تفسير الهمولة : « هي التي أهملت ، ترعى بأنفسها ، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة » (١) .

ومنه شرح « النصيحة » في حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني ، فقد أوجزه في (النهاية) وبسطه في (المنال) (٢) .

ولم يحتفل ابن الأثير بتعدد الروايات كثيراً في (النهاية) كما فعل في (المنال) . فمن ذلك ما ذكره في تفسير « العجالة » في حديث خزيمة ، قال في (النهاية) : « هي لبن يحمله الراعى من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن تروح عليهم » .

وقال في (المنال) : « العجالة ، بالضم : اللبن الذى يحمله الراعى من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن تصدر ، وإنما يفعل ذلك إذا كثّر اللبن عليه ، فيحلبها في المرعى . ويروى « العجالة » بالكسر ، وهي ما يحمل الراعى عليه زاده ، كالتيس والكبش ، وقيل : هما بالضم والكسر : ما يتعجله الإنسان » (٣) .

ومنه ما ذكره في تفسير « عليه مسحة ملك » من حديث جرير بن عبد الله البجلي ، فقد ذكر في (المنال) أن قوله : « ملك » يروى بفتح الميم واللام ، ويروى بضم الميم وسكون اللام ، ولم يشرح في (النهاية) إلا على الرواية الأولى (٤) .

(١) المنال (حديث قطن بن حارثة) والنهاية (همل) ٢٧٤/٥ ، وقوله في النهاية : « مفعولة » خطأ ، وكذلك جاء في اللسان (همل) والصواب : « مفعلة » كما في المنال .

(٢) المنال (حديث ذى المشعار) والنهاية (نص) ٦٨/٥ .

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمى) والنهاية (عجل) ١٨٧/٣ .

(٤) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلي) والنهاية (حشد) ٣٨٨/١ .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في حديث أم معبد ، وقولها في رسول الله ﷺ : « محفود محشود » . فقد قال في (النال) : « المحشود : الذي يجتمع الناس حوله ، يعنى أن أصحابه يحوطون به ، ويجتمعون على خدمته ، من الحشد : الجمع . ويروى بالسین المهملة ، من الحسد ، فإن صحَّ فَمَنْ أُولَى بأن يُحْسَدَ مَمَّن تكاملت فيه مثل هذه الأخلاق المَرْضِيَّة ؟ » .

ولم يُشر في (النهاية) إلى رواية « محسود » بالسین المهملة ، ثم لم يزد في شرح « محشود » على قوله : « أى أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه » (١) .

وفي حديث أم معبد أيضاً ، وذكر هزال إبلها ، أورد ابن الأثير في (النال) أربع روايات في هزال الإبل وضعفها : « تشاركن هزلا ، وتساوكن ، وتساوقن ، وتتاركن » . وهذه الرواية الأخيرة لم يذكرها في (النهاية) ، لا في مادة (ترك) ولا في غيرها .

ومنه أيضاً ما ذكره في شرح قوله : « حتى إذا أَلَقَت السماء بأرواقها » قال في (النهاية) : « أى بجميع ما فيها من الماء ، والأوراق : الأثقال ، أراد مياهها المثقلة للسحاب » .

هذا قوله في (النهاية) ، وقال في (النال) : « وقوله : « حتى التقت السماء بأرواقها » يريد بالسماء هاهنا السحاب . أى التقت بجميع ما فيها من الماء ، والأوراق : الأثقال ، كأنه قال : التقت السماء بمائها الكثير المثقل للسحاب . وقيل : أراد بأرواقها : مياهها الصافية ، من راق الماء :

(١) النال (حديث أم معبد) والنهاية (حشد) ٣٨٨/١ .

إذا صفا ، ويجوز أن يريد بالسماء السماء الحقيقية ، لا السحاب ، لأن المطر إنما يجيء من جهة السماء . وفي رواية : « حتى إذا أَلْقَت السماء بأرواقها » من الإلقاء ، والباء زائدة ^(١) .

وقد ناقش ابن الأثير بعض الروايات اللغوية في (المنال) ، على حين اكتفى بعرضها في (النهاية) . ومن ذلك شرحه للمؤزلة في حديث طهفة ، قال في (المنال) : « والمؤزلة ، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاى الخفيفة ، وفسرت أنها الجائفة بالأزل ، والأزل : الضيق . قال : أزاله يأزله أزلا : إذا حبسه وضيق عليه ، والرواية لا تنتظم مع هذا التصريف ، لأن المؤزلة من آزلت ، بالمد ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدّى الفعل بالهمزة ، يقال : أزل الأمر يأزل : إذا ضاق واشتدّ ، وأزله غيره . وفي كتاب الرخمشى : « المؤزلة » بفتح الهمزة وتشديد الزاى ^(٢) ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدّى الفعل بالتشديد للتكثير .

هذا كلامه في (المنال) ، ولم يزد في (النهاية) على قوله : « أى آتية بالأزل ، ويروى : « مؤزلة » بالتشديد ، على التكثير » ^(٣) .

هذا وقد تكلم ابن الأثير في (المنال) على أشياء لم يعرض لها في (النهاية) ، فمن ذلك كلامه على أصل « النهمة » ، قال : « والأصل فيه : نهّه ، بثلاث هاءات ، فأبدلوا من الهاء الوسطى نونا للفرق بين فعلل وفعل . ولم يذكر هذا في (النهاية) » ^(٤) .

(١) المنال (حديث الاستسقاء) والنهاية (روق) ٢٧٨/٢ .

(٢) ذكرت في تعليقي على هذا الموضع أن الذى فى (الفائق) المطبوع ، بسكون الهمزة وكسر الزاى مخففا ، بضبط القلم ، ولم يقيده الرخمشى بالعبرة .

(٣) المنال (حديث طهفة بن أبى زهير النهدى) والنهاية (أزل) ٤٦/١ .

(٤) المنال (حديث خزيمه بن ثابت السلمى) والنهاية (نهته) ١٣٩/٥ .

ثم رأيتَه يقيّد بعدَ الألفاظ بالعبارَة في (المنال) ، ويهمل ذلك في (النهاية) ، فمن ذلك ضبطه للهورى في حديث ذى المشعار . قال في (المنال) : « الحورى : منسوب إلى الحور ، بفتح الحاء والواو ، وهى الجلود المتخذة من جلود الغنم ، مصبوغة بحمرة » .

ولم يقيّد هذا التقييد في (النهاية) ^(١) وإن كان قد ذكر هناك عبارة صرفية تؤول إلى ما ذكره في (المنال) ، قال : « وهو أحد ما جاء على أصله ، ولم يعمل كما أُعِلّ ناب » . فإن هذا يعطى أن « الحور » بفتح الحاء والواو .

ومن ذلك تقييده في (المنال) « عرضان » بكسر العين وضمّها ، وإهمال ذلك في (النهاية) ^(٢) .

وقد وقفت على شيء من الخلاف بين (المنال والنهاية) ، وذلك ما ذكره ابن الأثير في ضبط « الحوب » ، فقد قال في (المنال) : « الحوب : الإثم ، وتضم حاؤه وتفتح ، فالضم لغة الحجاز ، والفتح لغة تميم » .

وجاء عكس هذا في (النهاية) ، وقلت في تعليقى على هذا الموضع : « وكذا قال الفيومى في المصباح ، وعكس المصنف في (النهاية) ، فجعل الفتح لغة الحجاز ، والضم لغة تميم ، ومثله في اللسان والتاج » ^(٣) .

وبعد : فلعلّ في هذا الذى ذكرتُ دليلاً على فرق ما بين الكتّابين ، وأنه لا يغنى كتابٌ عن كتابٍ شيئاً .

(١) المنال (حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني) والنهاية (حور) ٤٥٩/١ .

(٢) المنال (حديث وائل بن حجر) ، والنهاية (عرض) ٢١٤/٣ .

(٣) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلي) والنهاية (حوب) ٤٥٥/١ .

توثيق نسبة الكتاب إلى ابن الأثير

على كثرة مَنْ ترجموا لابن الأثير ، لم أجد مَنْ ذكر له هذا الكتاب إلا ابن الشَّعَّار الموصلي المتوفى سنة (٦٥٤) ، وتاج الدين ابن السبكي^(١) المتوفى سنة (٧٧١) ، وشمس الدين الشَّخَاوِي^(٢) المتوفى سنة (٩٠٢) ، وابن الشَّعَّار يسمي الكتاب : « منال الطالب في شرح الغرائب » ثم يقول : « وهى الأحاديث المطولات » ، وابن السبكي يسميه : « شرح غريب الطُّوال » ، وهذه تسمية موهمة كما ترى ، فأكثر ما يطلق لفظ « الطُّوال » على القصائد السبع الجاهلية المعروفة ، والشَّخَاوِي يسميه : « منال الطالب في شرح طُول الغرائب » .

وقد نظرت في كتاب « كشف الظنون » في جميع مظائنه ، فلم أجد فيه ذكراً لهذا الكتاب ، ثم رأيت إسماعيل باشا البغدادى المتوفى سنة (١٣٣٩) في « الذيل على كشف الظنون »^(٣) يذكر عنوان الكتاب : « منال الطالب في شرح طُول الغرائب » ولم يزد على ذكر العنوان شيئاً . وفيما عدا هؤلاء الثلاثة ، لم أجد مَنْ ذكر الكتاب ، أو أشار إليه ، أو نقل عنه .

وقد حاك في صدرى أن الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة

(١) راجع الموضوع المذكور في صدر الترجمة من عقود الجمان ، وطبقات الشافعية الكبرى .

(٢) فتح المغيـث شرح ألفية الحديث ٤٩/٣ .

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٥٦٢/٢ ، وأشار هنا إلى أن إسماعيل البغدادى حين ترجم لابن الأثير في هدية العارفين - الموضوع السابق - لم يذكر له هذا الكتاب .

(٨٥٢) ربما يكون قد اطلع على « منال الطالب » ، وذلك أن ابن الأثير ذكر في حديث أكيدر قال : « ومن الناس من يقول : إنه أسلم ، والأول أصح » ، وقد حكى ابن حجر هذه العبارة عن ابن الأثير ، في ترجمة أكيدر من « الإصابة » ^(١) ، فقال : « وقال أبو السعادات ابن الأثير أخو مصنف أسد الغابة : من الناس من يقول إن أكيدر أسلم ، وليس بصحيح » . فهل نقل ابن حجر هذا الكلام من « منال الطالب » أم من كتاب آخر من مصنفات ابن الأثير ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فنحن نحمد الله تعالى أن سَلِمَتْ لنا مقدمة الكتاب التي ذكر فيها ابن الأثير غرضه من تأليف الكتاب ، ومنهجه فيه ، وعنوانه الذي اختاره له ، ولولا ذلك كله لكنا من هذا الكتاب في أمرٍ مَرِيحٍ .

ولعلَّ جهالة هذا الكتاب عند القُدّامي ترجع إلى أنه من أواخر تصانيف ابن الأثير - في أكبر الظنّ - إذ كان تاريخ الانتهاء من نسخه وقراءته على مصنفه ^(٢) سنة (٦٠٦) ، والمصنف رحمه الله توفي في سلخ ذى الحجة من السنة نفسها .

نسخة الكتاب

هي نسخة وحيدة احتفظت بها الخزانة العامة بمدينة الرباط ، عاصمة المغرب الأقصى - صانه الله من الآفات والحن - وكَم من

(١) الإصابة ١/١٣١ .

(٢) سيأتي الكلام على ذلك في وصف نسخة الكتاب .

المخطوطات الفريدة النادرة ، احتفظت بها مكتبات المغرب العزيز ، الذى ظلَّ عربىَّ الوجه واليد واللسان ، برغم عوامل القهر والاستلاب والمسح التى تعرّض لها هذا البلد الإسلامىّ العظيم ، لقد عرف المغاربة قيمة هذا الإرث الجليل الذى آل إليهم ، فحفظوه وصانوه ، كما يصون كرام الأبناء ودائع الآباء .

والمشتغلون بالتراث ونشر النصوص يذكرون للمكتبة المغربية أنها احتفظت بنسخ وحيدة من كتب ذوات عدد ، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر : حَذَفَ مِنْ نَسَبِ قَرِيْشٍ ، لمُؤَرِّجِ السَّدُوسَى ، والفرق فى اللغة ، لثابت بن أبى ثابت ، ورَّاق أبى عبيد القاسم بن سلام ، والبرصان والعرجان ، للجاحظ ، والصاهل والشاحج ، لأبى العلاء المعرى ، والوسيط فى الأمثال للواحدى ، والموفقى فى النحو ، لابن كيسان ، وكتاباً صغيراً فى النحو ، للحسن بن عبد الله ، المعروف بلُغْدَة الأصبهاني (١) .

وأعود إلى الحديث عن نسخة (منال الطالب) ، فأقول : لقد جهدت فى الظفر بنسخة ثانية من هذا الكتاب ، فلم أوفق (٢) .
وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا أَنَّ هَذِهِ النُّسخَةَ المَغْرِبِيَّةَ غَيْرَ مُحَوَّجَةٍ إِلَى

(١) لعل الأيام تظهر نُسخاً أخرى من هذه الكتب ، ولكن إلى الآن لم تُعرف هذه الكتب إلا مِنْ قِبَلِ المَغَارِبَةِ . وقد كتبت عن أثر علماء المغرب فى حفظ التراث الإسلامى قديماً وحديثاً ، منذ نحو أربع سنوات ، فى مجلة الثقافة المصرية ، ودعوة الحق المغربية .
(٢) وقد استعنت أخى الكريم الأستاذ على عبد المحسن زكى - وهو خبير فى مفاتيح الفهارس ، ومعرفة أماكن المخطوطات - فأفادنى حفظه الله أنه لم يعرف غير نسخة المغرب التى بين يديّ .

غيرها ، فهي إلى النَّفَاسَةِ ماهِي . وقد جمعت النسخة كُلَّ أسباب القبول والتوثيق التي يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات (١) :

فخطَّها نسخي نفيس جداً ، مضبوط ضبطاً كاملاً ، مع وضع علامات الإهمال تحت الحروف المهملة .

وناسخها هو : شرف (٢) الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، وهو ابن أخى المصنف ، والده : نصر الله ابن الأثير ، صاحب كتاب (المثل السائر) ، وقد فرغ شرف الدين من نسخ الكتاب سنة (٦٠٦) ، وكتب في آخر النسخة :

« تمّ كتاب منال الطالب في شرح طُوال الغرائب ، وذلك في سنة ستٍّ وستمئة . كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، ولد أخى المصنّف ، حامداً (٣) لِلَّهِ تعالى على نِعَمه ، ومصلية على رسوله (٤) مسلماً . والحمد لله رب العالمين » .

(١) إلّا ماسوف تراه من هذه المواضع القليلة من الفراغات والبياض ، وهذه من المؤلف نفسه ، وسيأتى الحديث عن ذلك .

(٢) يبدو أنه كانت لشرف الدين هذا عناية بكتب عمّه ، فقد رأيت نسخة نفيسة من « النهاية » مكتوبة سنة (٦٠٤) وبآخرها قراءة على شرف الدين هذا ، وهذه النسخة محفوظة بمكتبة قرا مصطفى باشا ، الملحق بمكتبة بايزيد باستانبول ، برقم (١٨٨١٩) وقد رأيتها خلال رحلتى إلى تركيا عام ١٣٩٠ - ١٩٧٠ ، وقد ترجم ابن خلكان لشرف الدين هذا في آخر ترجمة أبيه نصر الله ، وأفاد أنه ولد سنة (٥٨٥) وتوفى سنة (٦٢٢) ثم قال : ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه .

وفيات الأعيان ٣٩٧/٥ ، وانظر الأعلام للزركلى ٣٤٧/٧ .

(٣) هكذا بكسر اللام فى لفظ الجلالة .

(٤) هكذا بغير واو العطف .

وقد سمع محمدُ النسخةَ وقرأها على عمه المصنّف . وكتب السماعَ عَمُّه الثاني عزّ الدين علي بن محمد ، ابن الأثير المؤرخ ، صاحب كتاب (الكامل) . وهذه صورة السماع وتاريخه ، كما جاءت على صفحة العنوان :

« سمع جميع كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، من أوّله إلى آخره ، على مصتفه المولى الأخ [السعيد] ^(١) مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ، إملاءً من لفظه ، ولد [الأخ] ^(٢) الولد الأعزّ شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم في عدة مجالس ، في شهور سنة ست وستائة . كتبه على بن محمد بن عبد الكريم ، في جمادى الأول [هكذا] من سنة ست وستائة ، حامداً لله تعالى ، ومصلياً على رسوله محمد وآله ومسلماً » . وترى أثر هذا السماع على حواشي النسخة في آخر الأحاديث . وفوق هذا السماع كتب عنوان الكتاب هكذا :

« كتاب منال الطالب

في شرح طوال الغرائب

تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى

المبارك بن محمد بن عبد الكريم . تقبل الله

صالح عمله وغفر له »

(١) جاءت هذه الكلمة غامضة ، وقد اجتهدت في قراءتها كما ترى .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض ، وقد رجحت أنها هكذا .

وأرجح ترجيحاً أن هذا كله بخط المؤلف نفسه ، فقد جاء مثله تماماً على صفحة العنوان لمخطوطة كتاب (المصنع) للمصنف ، نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، رقم (٥٦٦٠) ، وانظر الجزء الحادى عشر ، من (الأعلام) للزركلى . القسم الثانى ، صورة رقم (٩٠٠) ، وانظر أيضاً مقدمة (المصنع) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى .

وفى أعلى صفحة العنوان تملك باسم « السيد حسن نقيب الأشراف » ، وتملك آخر باسم « أحمد بن محمد بن ناصر » ، وهو صاحب الخزانة الناصرية بتمجروت بالمغرب . وابن ناصر هذا معاصراً للمرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس ، المتوفى سنة (١٢٠٥) ، وقد كتب عنه المغاربة كثيراً .

وفى أسفل الصفحة تملك باسم « محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد ، سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بدمشق » .

وفى الصفحة الأخيرة تملك ومطالعة باسم « محمد بن يحيى بن يوسف بن أبى القاسم السلامى » . وعلى حواشى النسخة تعليقات قليلة لبعض العلماء .

والنسخة تقع فى (٢٥٨) ورقة ، مسطرتها ١٥ سطراً ، ومقاسها ١٧ × ٢٥ر٥ سم ورقمها فى الخزانة العامة بالرباط (١٨٢) أوقاف (١) .

(١) وقد كتب عن هذه النسخة ، ونقل مقدمتها ، ونموذجاً من أحاديثها العلامة الجليل الشيخ حمد الجاسر ، بمجلة العرب - الجزء السادس - السنة الخامسة ١٣٩٠ - ١٩٧١ كما أشار إليها العلامة المرحوم الزركلى فى المستدرك الثانى من الأعلام ص ١٧٦ .

وبالنسخة بياض في أحاديث : سَطِيح ، وأبى عمرو النَّحَعِي ،
وعلى بن أبى طالب ، في الصلاة على النبي ﷺ ، والمغيرة بن شعبة
الثقفي ، والأعشى الجَرَمَازِي ، وعبد الملك بن عمير (في حديثين له) .
ولما كانت النسخة قد قرئت من أولها إلى آخرها ، على المصنف
رحمه الله ، فإن هذا البياض منه نفسه ، وقد تركه ليستكمله فيما بعد ،
ثم حالت المنية بينه وبينه ، وقد حاولت ملء هذا البياض . والله المستعان .

أخطاء النسخة

في أثناء عملي في تحقيق الكتاب ، وقعت على طائفة يسيرة من
الأخطاء والأوهام ، كنت أحب أن أردّها إلى غفلة الناسخ وحده ، فإن
الهجوم على تحفئة الأوائل نَمَطٌ صعب ونَمَطٌ مخيف^(١) ، ثم هو من
التَّقَحُّمِ الْمُزْرَى بصاحبه ، ولكن ماذا نصنع والنسخة قد قرئت
وصحّحت من أولها إلى آخرها على مصنفها رحمه الله .

ومهما يكن من أمر : فابن الأثير بشر ، يجوز عليه مايجوز على
جميع البشر ، من السّهو والنسيان ، وسبحان من تفرّد بالكمال وتنزّه
عن النقصان .

فمن أخطاء الضبط : جاءت « البرية » بمعنى الصحراء ، دائماً

(١) هذا من تعبيرات أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر ، حفظه الله ، والنمط :
الطريقة . يقال : ألزم هذا النمط ، أى هذا الطريق ، والنمط أيضاً : الضرب من الضروب ،
والنوع من الأنواع ، يقال : ليس هذا من ذلك النمط ، أى من ذلك النوع والضرب ، يقال
هذا في المتاع والعلم وغير ذلك .

وحيث ما وقعت من الكتاب ، بكسر الراء خفيفة ، والصواب فيها التشديد مع الكسر : « البرية » .

وفي حديث قطن بن حارثة ، ضبط : « الحمل » بفتح الحاء . وقد نص صاحب القاموس على أنه بالضم .

وفي حديث استسقاء النبي ﷺ : جاء « سبل سابل ، ومطر ماطر » بفتح اللام في « سبل » والراء في « مطر » على أنهما فعلان ماضيان ، والصواب أن يكونا بالضم مع التنوين ، على الاسمية ، ويجريان مجرى قولهم في المبالغة : « شِعْرٌ شاعِرٌ » . وراجع اللسان (سبل) .

وفي حديث أم معبد : ضبط الفعل « يصهل » بضم الهاء ، والصواب أن يكون بالكسر أو بالفتح ، فإن الفعل من باب « ضرب ومنع » كما في المصباح والقاموس .

وفي غير الضبط .

جاء في حديث لقمان بن عاد ، ووصفه لإخوته ، قال المصنف : « والحممة : الفحمة ، وجمعها : حمم ، كأنها تريد به سواد شعره أو لونه » . وصواب الكلام على التذكير : « كأنه يريد » فإن الواصف هو لقمان ، وقد جاء في (النهاية) مادة (حمم) على الصواب ، قال : « أراد سواد لونه » .

وفي حديث قُسّ بن ساعدة الإياديّ : شرح المصنف كلمة « الأَجَشَّ » بأنها « الرفيع الصوت » . والذي في كتب اللغة : « الغليظ الصوت » .

وفي حديث هند بن أبي هالة ، في صفة النبي ﷺ : ذكر ابن الأثير تفسير ابن قتيبة لقوله : « لا يقبل الثناء إلا من مكافئ » ثم قال عقبة : « وأنكر ابن الأعرابي هذا التأويل » .

وقول المصنّف : « ابن الأعرابي » خطأ ، والصواب : « ابن الأنباري » ، كما جاء في (الغريين) و(النهاية) - مادة (كفأ) ، وقد قلت في تعليقي في ذلك الموضوع إن ابن الأعرابي ، محمد بن زياد ، توفي سنة (٢٣١) فيبعد أن يتعقب ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) ، وأيضاً فإن نقد أبي بكر بن الأنباري لابن قتيبة معروف مذكور في كتب الغرب واللغة ، وقد نقلت في ذلك كلمة الإمام أبي سليمان الخطابي في صدر هذه المقدمة .

وجاء في حديث رُفَيْقة بنت أبي صيفي : « وأيفع الغلام : إذا شَبَّ وترعرع وشارف الاحتلام ، وهو من نوادر الأبنية ، لأن قياس أيفع : موفع ، لا يافع » .

وقد علّقت على هذا الكلام في تحقيقي ، فقلت : هكذا جاء في الأصل ، ولعلّ صواب الكلام : « أيفع الغلام فهو يافع » ، وذلك ليتجه إليه قول المصنّف : « وهو من نوادر الأبنية » وعلى هذا جاء الكلام تاماً في (النهاية) مادة (يفع) .

وقد كدت أن أكمل الكلام بما ترى ، ولكنني آثرت أن أتركه على ما هو عليه ، وأعلّق في الحاشية ، اقتداءً بهذا العالم الذي كتب في حاشية الكتاب معلقاً على وهم في الحديث الأول - حديث طهفة بن أبي زهير النّهدي ، فقد قال : « ولم أر أن أصلحه ، لأنه مقروء في هذه النسخة على مصنّفه ، وخطّه عليها » .

وقد وقفت على أوهام أخرى ، نهبت عليها ، تراها حين تأتى قراءتك على الكتاب إن شاء الله .

وبعد :

فهذا أثر جليل لعالم جليل ، أرجو أن أكون قد قمت بما ينبغي له من التقدير والتحقيق . ورحم الله مؤلفه ، وجزاه خير ما يجزى به عباده المخلصين ، فقد صنّفه في زمان علته وأيام مرضه ، ورحم الله علماءنا وأسلافنا الذين عرفوا للفتهم حقها ؛ من كريم الرعاية ، ودقة النظر ، وحسن الفقه ، وإكمال التصنيف ، وأقاموا حول كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ﷺ ، صرحاً شامخاً من الكتب والمصنّفات ، لم تعرفه أمة من الأمم ، ولم تشهده ثقافة من الثقافات .

وغفر الله لنا ، فقد جئنا إلى هذا التراث : لننال به الشهادات ونرتقى عليه إلى المناصب ، ونطلب به المثالة عند الناس ، ثم لم نعطه حقه من الدرس والتأمل والافتداء .

ورحم الله النضر بن شُميل ، فكأنه كان يعنيننا حين قال قوله العظيمة في الخليل بن أحمد ، شيخ العربية . يقول النضر : « لقد عاش الخليل بن أحمد في مرّيدٍ من مرابِدِ البصرة لا يجد قوتَ يومه وأصحابه يأكلون بعلمه الأموال » .

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول ، كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن ، كما نعوذ بك من العُجب بما نُحسِن (١) .

(١) من كلام الجاحظ في مقدمة البيان والتبيين .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (١) .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢) .

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

مكة المكرمة في شهر شعبان ١٣٩٩

الموافق لشهر يونيه ١٩٧٩

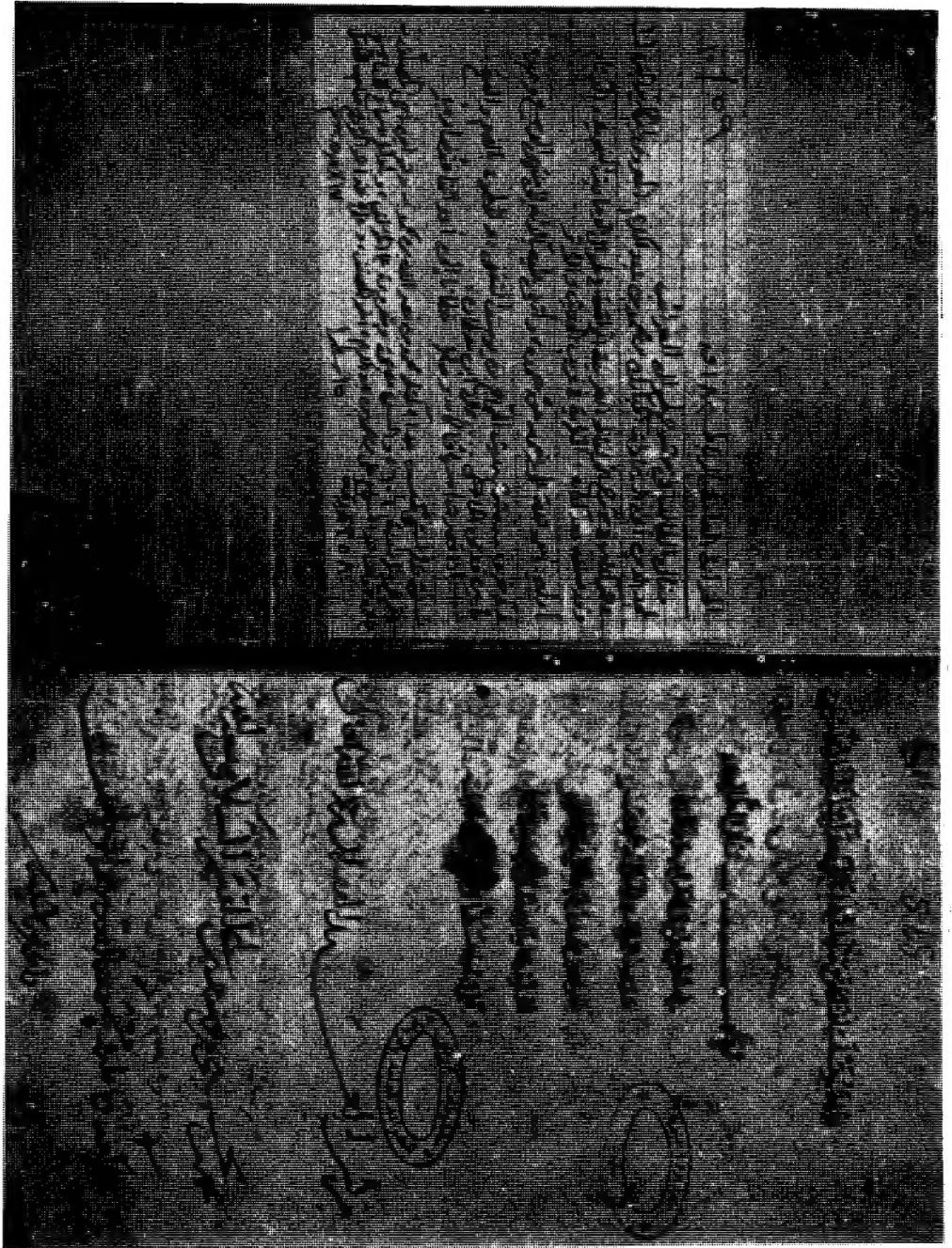
محمود محمد الطناحي

(١) سورة آل عمران ٨ .

(٢) سورة الحشر ١٠ .



صفحة العنوان من نسخة الأصل



الورقة الأخيرة من نسخة الأصل

وهذا الخط الحديث الذى تراه على يسار الورقة هو خطى ، وصفت به النسخة ، فى أثناء زيارتي للمغرب

الأقصى سنة ١٣٩٥